مجلة الآداب، م٢٧، ع١ ، ص ص ٥١-٧٤ جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٥م/ ١٤٣٦هـ)

اللغة والهويّة

كريمة محمد كربية

قسم اللغة العربية، كلية التربية بالدلم، جامعة سلمان بن عبد العزيز

(قدم للنشر في ١٤/ ٢/ ١٤٣٥هـ، وقبل في ١٧/ ٥/ ١٤٣٥هـ)

الكلمات المفتاحية: اللغة، الهوية، الحضارة، المقومات.

ملخص البحث: يسعى هذا البحث إلى إبراز دور اللغة في التعريف بالهوية و بالحضارة والنهوض بهما؛ لذلك عملنا على تعريف اللغة أولا ثم الهويّة ثانيا ثم تطرّقنا إلى جدل العلاقات بينهما من وجهة نظر تاريخية ودينية وحضارية وجغرافية وسوسيولوجية وثقافية عموماً، وتوصلنا إلى أنّ اللغة هي المكون الأول والرئيس في الهوية الثقافية. فهي حياة الأمة وهي بدايتها ونهايتها كما أنّ اللغة من المقومات الجوهرية لهويات الأفراد والجماعات، وعنصر أساسي في تعايشهم السلمي، هذا إضافة إلى أنها عامل استراتيجي في التقدم نحو التنمية المستدامة .وقد أوصلنا البحث إلى أنّ اللغة هوية، وليست "الهوية" لغة، بمعنى أن اللغة ليست المقوم الوحيد للهوية، وإن كانت من أهم هذه المقومات، وأشدها خصباً وعمقا وتركيبا. إن العلاقة بين اللغة والهوية هي علاقة الخاص بالعام، فالهوية أعم من اللغة؛ لأن للهوية تجليات عديدة غير اللغة". وختمنا البحث بالإقرار أنّ أزمة اللغة المعاصرة هي أزمة الهوية الثقافية و أنّ اللغة هي الحاضنة الفكرية وهي العامل الأهم في تجسيد خصائص الأمة والحافظة لتاريخها والداعمة لاستمراريتها مما يتطلب من جميع الأمم العمل على صونها وحمايتها من كل التحديات التي تحيق بها لأن في ذلك صوناً للأمة ولهويتها ولمكانتها وخصصنا بذلك أمتنا العربية التي خصها الله بقرآن عربي فقد تعهَّد الله بأن تبقى اللغة العربية ما بقيت الحياة.

يكتسب المرء دوره في المجتمع من قدرته على استعمال اللغة المناسبة، ويعود الفضل في كثير من التصورات التي تشكّل حقائق ذاكرته الجمعية إلى نظام الرموز اللغويـة. فهل تشكل اللغة عالم الفرد ؟ وهل يتحكم نظام الرموز في مسيرة المجتمع وتطوراته وتاريخه وأزماته ؟

يرتبط تطور الوعي البشـري بمسار تنمية عقل الإنسان ،وقد ساهمت في ذلك طاقاته الفريدة اللغوية والرمزية، وقدرته على تخزين المعلومات، ممّا أنتج الحضارة، وكوّن التاريخ الإنساني. هل نستطيع القول أنّ اللغة هي التي تصنع العالم بأشكال متعدّدة، وبقوة دفع تختلف من مجتمع إلى آخر حسب الاستعداد الفطري أو المكتسب للانقياد وراء إغراء اللّغة وبهرجة عوالمها ؟

إنّ "اللغة"، هي لسان الجماعة، ومرآة فكرها، ومنجم عطائها، والملمح الرئيسي لخصوصيتها. "والقوي" أو بالأحرى من يشعر بالتوفيق عموما واع تماماً لهذه الأبعاد. ولهذا فإنه في تنظيراته الحاضرة والمستقبلية يركز في هدم خصوصيات الآخرين على حصنين قويين: اللغة، والدين، إذ يرى فيهما عنصـرين مركزيين لأية ثقافة أو حضارة.

يتنزل موضوعنا في هذا الاطار: إبراز دور اللغة في التعريف بالهوية وبالحضارة وفي النهوض بهما لذلك لا بد من تحديد مفهوم اللغة أولا ثم الهويّة ثانيا .

ثم التعرض لجدل العلاقات بينهما .

مفـهـوم اللـغـة

تذكر المعاجم اللغوية أن كلمة "لغة" مأخوذة من الجذر اللغوي (لغو) أو (لغي) الذي تدور معانيه حول الرمي أو الطرح أو اللفظ، تقول: لغوت بكذا، إذا لفظت به وتكلمت، وإذا أردت أن تسمع من الأعراب فاستلغهم: فاستنطقهم" (الزمخشري). فالدلالة الأصلية للمادة هي الرمي أو الطرح، ثم تطورت لتدل على الكلام الذي تتفوه به ألسنة البشر. والقرآن الكريم لم يستخدم مادة "لغو" بالمعنى الذي أخذنا منه كلمة "لغة"، وأورد ما أورد من المادة مرتبطاً بمعاني العيب، وقبيح القول والفعل، واليمين غير المقصودة.

واستخدم للدلالة على "لغة" مادة "لسن" ومشتقاتها، فورد فيه "لسان" مفرداً وجمعاً. أما المفرد ففي ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النحل ١٠٣)، وفي ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء ١٩٥)، وفي ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾ (القصص ٣٤)، وفي ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ (الأحقاف ١٢)

وأما الجمع ففي ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ (الروم ٢٢).

ولو نظرنا في هذه السياقات القرآنية التي وردت فيها هذه الألفاظ للاحظنا أنها إما أن تكون خالصة للدلالة على لغة ما، أو لغات (آيات النحل والقصص والمائدة وإبراهيم) وإما أنها تمخّضت للعربية عن طريق النعت.

ولا تبعد مادة "لسن" هذه عن "لغو " أو "لغي" يقول الزمخشري: "لكل قوم لِسْن: لغة. ولسان العرب أفصح لسان"(الزمخشري).

والمفارقة هنا في أنَّ اللفظ الذي يدلُّ على الطَّرْح أصبح يدلُّ على ما يصدر عن عقل الإنسان، ويعكس فِكرَه، ولا يؤدِّيه إلاَّ لسانُه، لا لشيءٍ سوى أنَّه (الكلام) شيء يُلقى، أو ينبغي أن يُلقى؛ نظرًا لاشتداد الحاجة إليه في التواصل ونحن هنا لا علاقة لنا بمعنى الطَّرْح، بل بمعنى الكلام، الذي هو بدَوره صورة الفِكر، فهو المقصود.

على أنَّ الدلالتَين (الطرح، والكلام) مقصورتان على تصاريف الكلمة، أمَّا "لغة" هذا اللَّفظ المختوم بتاء مربوطة، فهو مخلَص للكلام البشري العاقل.

ذلك ما تُشير إليه المعاجم، وتنصُّ عليه كتب اللُّغة، أمَّا اللُّغويُّون والنَّحْويون العرب وهم ينظرون في "لغة" ليقيموا دراساتِهم وبحوثَهم، فلم يبعدوا كثيرًا، اللُّغة عندهم "أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"(ابن جني، ١٩٨٦، ص٣٣) . يؤدِّي بنا تحليل هذا التعريف إلى أن نلحظ العناصر التالية:

أصوات (الكلام)، كل قوم (الناس)، التعبير عن الأغراض (التواصل)، وثَمَّة علاقات بينيَّة بين هذه العناصر تجعل منها كلاً لا يمكن تجزئته؛ لأنَّ التجزئة تجعل من كلِّ عنصر شيئًا لا عَلاقة له بـ "اللغة" التي نقصد.

كان ذلك عن الدلالة اللغوية، فماذا عن الدلالة الاصطلاحية عند اللغويين الذين هم المعنيون بدراسة "اللغة" بوصفها أصواتاً وكلمات وتراكيب؟ وكيف ينظر إليها علماء الاجتماع بوصفها ظاهرة اجتماعية؟

لقد عرفها ابن جني (ت ٣٩٠ هـ) بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(ابن جني، ١٩٨٦،ص٣٣). وتحليل هذا التعريف المركَّز يؤدي بنا إلى الكشف عن ثلاثة عناصر (منطوق بها) فيما يمكن أن نسميه "المنظومة اللغوية"، هي: الأصوات، والقوم أو الناس، والأغراض. والربط بين الأصوات والأغراض يشير إلى مسألة معروفة، هي أن اللغة في حقيقتها انعكاس للفكر، فما نسمعه من أصوات ليس في الحقيقة سوى مرآة للفكر. وعليه فإن تعريف المناطقة الإنسان بأنه حيوان ناطق، ليس معناه أنه يمكن أن يصدر أصواتاً، ولكن معناه أنه إنسان مفكر، فالتعبير عن الفكر هو أحد أهم وظائف اللغة كما يرى علماء الاجتماع اللغوي (علوان،١٩٩٥، ص١١٩)،

فاللغة" من المنظور الاجتماعي مدخل رئيسي لدراسة تطور تفكير الجنس البشري، كما جعل منها نسقاً مهماً لا يمكن التخلي عنه أو فصله عن الأنساق الأخرى داخل المجتمع.

وثمة عنصر خامس في تعريف ابن جني، صحيح أنه ليس منطوقاً به، لكنه مفهوم من لفظة "قوم"، فاللغة ليست فردية أو "فردانية"، إنها ظاهرة – كما يصفها علماء الاجتماع – أعلى من الفرد، فالإنسان (الفرد) لا يبتكر لغة، وإذا ما حاول ذلك "فإن عمله هذا يصبح ضرباً من ضروب العبث العقيم، إذ لن يجد من يفهم حديثه، ولن يستطيع إلى نـشر مخترعه هذا سبيلاً"(علوان،١٩٩٥، ص١٢٦).

وهناك عنصر سادس يستفاد من "كل قوم "، فاللغة،كما أنها ليست ظاهرةً فرديةً، هي أيضاً ليست ظاهرةً إنسانية بالمعنى العام، أي أنها ليست لغة واحدة، فكل قوم أو مجموعة بشرية لها "لغة" تتشكل معهم، وترتبط بهم، تنتج عنهم، وتؤثر فيهم، في إطار العلاقة الجدلية المعقدة التي سبقت الإشارة إليها.

وقد شغل بن جنيّ هذا التركيز عن الإشارة إلى العناصر الأخرى، ومنها الخاصية الجمعية، أو بعبارة ابن جني (القوم)، إلا اذا ادركنا أن علاقة الفرد بلغته هي أيضاً علاقة الجماعة بلغتها، وعليه فاللغة هي صورة العالم في ذهن الجماعة، أو في عقلها الجمعي بلغة علم الاجتماع. بهذا يتضح أنّ "اللغة" هي أقرب النظم إلى الإنسان، ومن ثم إلى الجماعة التي تتحكم فيها. إنها –إن شئنا– أشبه ما تكون بالروح، أو هي الروح، وما الفرق بين هذه وتلك سوى أن ما نطلق عليه "روح" تكون به حياة فرد، وما نطلق عليه "لغة" تكون به حياة جماعة، والروح تبعث الحياة في جسد واحد، واللغة روح جماعية تملك طاقة كبيرة تبعث الحياة في أجساد كثيرة. والشواهد على ذلك كثيرة، فباللغة نعيش، نصحو بها، وننام عليها، في مرآتها تنعكس دواخلنا، وبوساطتها نتصل بالآخرين من أبناء جلدتنا، ونتواصل معهم، لكننا غافلون عن هذه العلاقة لشدة قربها منا، وقوة التصاقها بحياتنا

خلاصة القول أن اللغة التي نريدها هنا هي اللغة بوصفها أداةً للتفكير للإنسان، تؤثر فيه وتتأثر به، فهذه هي حقيقة اللغة وجوهرها.

مفهوم الهوية:

يذهب معظم الباحثين إلى أن اسم " الهوية " ليس عربيا وإنما كلمة مولدة اشتقها المترجمون القدامى من ال " هو " أي حرف الرباط .. الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهو حرف " هو " في قولهم: زيد هو حيوان أو إنسان "، ولينقلوا، بالتالي، بواسطتها، و كما يقول الفارابي، "المعنى الذي تؤديه كلمة ' هست ' بالفارسية وكلمة 'استين'

باليونانية، أي فعل الكينونة في اللغات الهندو- أوربية الذي يربط بين الموضوع والمحمول، ثم عدلوا عنها ووضعوا كلمة 'الموجود ' مكان ال ' هو' و 'الوجود' مكان 'الهوية ' و نجد ذكر المفهوم عند فلاسفة العرب والمسلمين القدامى من أمثال ابن رشد في " تفسير ما بعد الطبيعة " وابن سينا والفارابي، والجرجاني الذي عرفها ب"الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق". وتلتقي تعريفات الفلاسفة المسلمين مع ما نجده عند فلاسفة اليونان القدامى خاصة أرسطو الذي يعرف الهوية باعتبارها: "وحدة الكائن، أو هي وحدة لتعدد الكائنات".

وتستعمل كلمـــة (هوية) في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة identityالتي تعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقته لمثيله. وفي المعاجم الحديثة فإنها لا تخرج عن هذا المضمون، فالهوية هي: "حقيقة الشيء، أو الشخص المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات". ويعرف المتصوفة الهوية بأنها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق أما عند علماء النفس فهي "وحدة ذات الشخص في مراحله المختلفة، طفلاً وشابّاً وكهلاً وشيخاً (بدوي،١٩٩٦،)". وعلماء الاجتماع يرون في "الهوية" ذلك "الشيء الذي يُشعر الشخص بالاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه، والانتماء إليه أما علماء الميتافيزيقا (الغيبيات) فالهوية عندهم "جوهر العقل وماهيته أو أنها والعقل شيء واحد، فهي ماهيته وصورته وقانونه. إنها الضروري مطلقاً في مقابل المستحيل مطلقاً. ويقترب علماء المنطق والرياضيات من الأفهام أكثر عندما ينظرون إلى "الهوية". على أنها "علاقة بين شيئين تجعل منهما متساويين، فهي ما يجعل شيئاً ما متشابهاً تماماً مع شيء آخر(الجرجاني، ١٩٨٨،ص٢٥٧)".

وردَت كلمة هوية في معاجم اللغة بمعنى: "بئر بعيدة المهواة"، وقيل: هي تصغير كلمة (هوة) (ابن منظور، د.ت، ص(١٥/ ٣٧٤))" والهوية بالمعنى الفلسفي تعني حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات، وهي بهذا المعنى تتساوى مع مصطلح (هو هو) الفلسفي، والذي يشير إلى ثبات الشيء بالرغم مما يطرأ عليه من تغيرات فالجوهر هو وإن تغيرت أعراضه.(المعجم الفلسفي،١٩٨٣،ص ٢٠٨)،كما نجد مفهوم آخر هو "فلسفة الهوية" (philosophie de L'identité) اصطلاح فلسفة الهوية على مذهب (شيلينغ) القائل بوحدة الطبيعة والفكر، ووحدة المثل الأعلى والواقع، وكل فلسفة من هذا

القبيل، لأنها تجمع بينهما في وحدة لتنفصل، وترجعهما إلى شيء واحد هو المطـلق.(صليبا، ص ٥٣٢).

وعرفها ابن حزم بقوله: "وَحَدُّ الهوية هو أن كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه، إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة، فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر(الظاهري، د.ت، ص (١٠٧/٢). و تطرح الهوية دائما في مقابل غيرية، أي هوية أخرى منافسة ومزاحمة لها والتي عادة ما توسم بلفظ "الآخر". فالآخر ليس ذاتا مغايرة لها ومتساوية من حيث القيمة، وإنما هو هذا اللا أنا الأقل قيمة من الأنا. إن هذه الرؤية التي توصم الآخر هي التي تبرر الأوصاف والنعوت والممارسات الممكنة تجاهه. إن تعريف الهوية إذن هو عملية معقدة لإعادة تشكيل صورة الذات في جوهريتها وطهرانيتها من خلال إسقاط الصورة السلبية اللاشعورية التي تحملها عن نفسها على الآخر، وذلك بغض النظر عن مضمون هذا الآخر وعن طبيعة العلاقة التي تربط به سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. إلا أن الظروف التاريخية والوقائع الفعلية تساهم في رسم خصائص الهوية، فقد تزداد غلوا وانكفاء على ذاتها كلما تغذت من علاقات تاريخية وسياسية مع الآخر مطبوعة بالصراع والمصادمة، وكلما كانت علاقات القوة المادية والرمزية (تكنولوجيا، صناعة، علم، فلسفة، ثقافة، فن...) تتسم بعدم التكافؤ وغلبة طرف على الآخر. لذلك يستدعي منطق الهوية نفي الآخر أو على الأقل إقامة مسافة معه تسمح على الصعيد النفسي والإيديولوجي بتعزيز شعور الذات بوحدتها وتجانسها وعدم خيانتها لهويتها المتصورة كوحدة ضاربة في القدم.

أما الهوية الإسلامية فنقصد بها: "الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس(العاني،٢٠٠٩ ،ص٤٥)".

إن ما استعرضناه من إشارات سريعة إلى مفهوم الهوية من وجهات نظر مختلفة، وعبر رؤى متباينة، يدل على أن الهوية مفهوم مطلق يعني الحقيقة والماهية والذات والوحدة والاندماج والانتماء والتساوي والتشابه.

ولكن كيف تتشكل الهوية، وما هي العوامل التي تساهم في هذا التشكل؟

قبل الإجابة نذكر أن الهوية تكون هوية فرد، كما تكون هوية جماعة. وهوية الفرد تكون هوية بسيطة، تلك التي هي الأقرب إلى الذهن، والأكثر انتشاراً،

نعني ما يُعْرَفُ اليوم بـ "البطاقة الشخصية" التي تتضمن مفردات الاسم والعمر والمواصفات الشكلية والجنسية.. إلخ مما يميزه عن غيره من الأفراد، ويعرف الآخرون به. وهوية مركبة، تلك التي تحدد اتجاهه ومسار فكره وعقيدته وانتماءاته، ومثل هذه الهوية هي التي تجمعه بغيره من الذين (يشتركون معه في الاتجاه والفكر والعقيدة والانتماءات، وتميزه في الوقت نفسه بتلك الفروق أو التضاريس التي لا يشترك معه فيها غيره).

ومجموع الهويات الفردية والمركبة يساوي هوية الجماعة (الهوية العليا) التي تجمع أفرادها من ناحية، وتميزهم من ناحية أخرى أيضاً.

إن الهوية العليا – كما أسميناها – تتشكل تلقائيّاً أو عفويّاً دون تدخل مباشر من قبل الإنسان، وقد تكون نتيجة لفعل إنساني واعٍ، وربما تخرج عن هذا وذاك، ويكون الفاعل فيها هو "الله" الذي يرسل رسلاً، يدعون إلى أديان تصبح في وقت لاحق "هوية" للمؤمنين بها.

وقد حصر المنظّرون مسألة الهوية وفق العوامل التي تشكل الهويات فيما يلي: اللغة والدين والتاريخ والجغرافيا (المكان)، التكوين النفسي – الثقافي ومن ثمة فإن الثقافة هي الوعاء الذي يتضمن كل هذه المعايير المذكورة، و تعتبر الهوية الثقافية بذلك تعبيرا عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير للإنسان كما هو في تفرده وتميزه. ففي الهوية الثقافية تشتغل جدلية الذات والآخر وتعيد كل جماعة بشرية تأويل ثقافتها من خلال اتصالاتها الثقافية، أو قد تنزع نحو المثاقفة- وما يشبهها.. وهي كذلك كائن جماعي حي يتحول ويتغير من الداخل على ضوء تغير المصادر القيمية والسلوكيات، ومن الخارج بفعل أشكال التأثير الخارجي الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط.. والهوية أيضا "كيان يصير، يتطور، وليست معطى جاهزا ونهائيا. وهي تصير وتتطور، إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، بانتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما إنها الحد المكتسب من المعارف والتصورات والممارسات الفكرية لدى الإنسان في محيطه الاجتماعي، والتي تلقاها لمصلحته ومصلحة هذا المحيط.. والهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى"(تيزيني، ٢٠٠٨،ص٢١).

فالحفاظ على التراث الثقافي وبعده الحضاري

ضروري لأنه يحفظ لذاكرة والهوية الفردية والجماعية، وبما أن التراث الثقافي يحتوي على جانبين: الملموس ممّا أنتجه السابقون من مبانٍ، وأدوات ومدن وملابس، وغير ذلك من مظاهر الحضارة، وغير الملموس بما فيه من معتقدات، وعادات، ولغات، وتقاليد وغيرها، وإن هذيْن العنصريْن يكوّنان عصب الحضارة، والحفاظ عليهما يعني الحفاظ على ما أنتجه الإنسان في مجتمع ما ككينونة وكهوية فردية ومجتمعية.. فالتراث يمثل الذاكرة الحية للفرد وللمجتمع. و الثقافة لا تنتج ألاّ عبر اللغة أيًّا كانت اللُّغة، وأيًّا كانت الثقافة، كما أنّنا لا نتصوَّر ثقافة لا تعتمد في جانب أساس منها على وعاءٍ لُغويٍّ يحتويها، ويتفاعل معها وينقلها. فالثقافة واللغة إذا دائرتان متداخلتانِ لا يُمكن أن نُخَلِّص إحداهما من الأخرى وما يهمنا هو أن نؤكِّد على نقطة مهمَّة هي: أنَّه إذا كانت اللُّغة هي الفِكر الذي يتفاعل مع الانسان ويقف منها أو معها مواقفَ محدَّدة، فإنَّ الثقافة هي أيضًا ذلك الكيان المتشابك، وغير الملموس الذي يُملي عليه طرائقُه في التعامل مع الانسان، وتحدِّد استجاباتِه تُجاهها، نحن إذًا أمام وجهين لنفس الكيان، قد تكون الثقافة أعمَّ، إذِ اللُّغة عنصر مهمٌّ للغاية في بنائها، وتوجيه مسارها، على أنَّ للثقافة دورَها الخطير في التأثير في اللُّغة باعتبارها فكرًا، واللغة والثقافة معًا ليستَا ليستَا فرديَّتين، لكنَّهما جزءٌ من حراك الوسط الذي يعيشانِ فيه، ومِن هنا تأتي التفرقة الضروريَّة بينهما. واستنادا على ما تقدّم سنعمل على تبيّن جدل اللغة والهوية .

جـدل اللغـة والهـويـة

١ – أقدم تجليات الهوية:

بعد أن توقفنا بعض الشيء عند اللغة، والهوية، كلٍّ على حدة – أصبح من الضروري أن نجمعهما في هذه الفقرة الأساسية، ونجمع إليهما العناصر الأخرى للهوية، وذلك للكشف عن العلاقات بين اللغة والهوية، ومكانة اللغة ضمن منظومة عناصر الهوية، ثم موقع اللغة أيضاً ضمن نظريات الهوية.

إذا كانت اللغة هي تلك الخاصية الإنسانية التي تعكس العقل الجمعي لفئة من البشر، وتعبر عن رؤيتهم للعالم من حولهم، وإذا كانت الهوية هي الحقيقة والذات والماهية.. فإنه يمكن القول دون أن يكون ثمة افتعال: إن اللغة تعد صورة حية لحقيقة أصحابها وذواتهم وماهيتهم. إذ أنَّ كل إنسان يحتاج إلى لغة تحدِّد هويته و كل فرد منّا بحاجة إلى هذا الرباط القوي والمطمئن الذي يحدِّد هويته. لا يوجد ما هو أخطر من السعي إلى قطع الحبل السـرِّي الذي يربط الإنسان بلغته. عندما ينقطع أو يضطرب بشدّة ينعكس ذلك بشكل مدمِّر على مجمل الشخصية من الضـروري أن

يتوطّد بوضوح ودون أدنى لبس وأن يُراقَب دون كلل حق كلّ إنسان في الاحتفاظ باللغة التي تحدِّد هويته واستخدامها بحرية.

فكل إنسان يحتاج إلى لغة تحدِّد هويته إذ كل فرد منّا بحاجة إلى هذا الرباط القوي والمطمئن الذي يحدِّد هويته. لا يوجد ما هو أخطر من السعي إلى قطع الحبل السرِّي الذي يربط الإنسان بلغته. عندما ينقطع أو يضطرب بشدّة ينعكس ذلك بشكل مدمِّر على مجمل الشخصية و من الضروري أن يتوطّد بوضوح ودون أدنى لبس وأن يُراقَب دون كلل حق كلّ إنسان في الاحتفاظ باللغة التي تحدِّد هويته واستخدامها بحرية.

اللغة والهويّة قديمتان وُجدتَا مع وجود الإنسان على هذه الأرض، إنَّ الله – سبحانه وتعالى - ميَّز آدم – عليه السلم – بـ "عِلْم الأسماء (البقرة: ٣١)" وما الأسماء في حقيقتها إلاَّ نوع من اللُّغة التي تجعله قادرًا على التفكير فيما يحيط به، والتعامل معه، ثم إنَّ هذه العملية - عملية التعليم نفسِه لآدم - حدَّدت هُويته ومَيَّزته عن غيره من المخلوقات، فهو كائنٌ مختلف يعرف ما لا يعرفون، ولديه خصائص ليستْ فيهم.

وكلٌّ منهما كذلك مركَّب، بلغة الفلسفة والمنطق، أعني: أنَّهما كلّ تندرج تحته أجزاء، وهي أجزاء متداخلة لا يمكن فصلُ بعضها من بعض، اللُّغة تحتوي طرائقَ التفكير والتاريخ والمشاعر، وإرادة الناس وطُموحاتهم وشَكْل علاقاتهم، والهُويَّة أيضًا هي هذه العناصر في كُلِّيتها وتركُّبها.

وهُمَا -إضافةً إلى ذلك -تاريخيتان، بمعنى أنَّهما محتاجتان إلى التاريخ أو الزَّمن حتى تتشكَّلاَ وتتعمَّقَا، وتأخذَا الأبعاد اللازمة، ولا يَتنافى هذا مع ما قُلناه من أنَّهما أَوَّليتان، فأوليتهما يُراد منها الإشارةُ إلى ملازمتهما للإنسان، وتاريخيهما تُشير إلى ما تحتاجانِ إليه حتى تتشكّلا وتنضجَا. ثم إنَّهما جمعِيَّتان، والمقصود من "الجمعيَّة" أنَّهما لا تعيشان داخلَ الفرد منعزلاً، إلاَّ في صورة ساذجة، لا تجعل منهما مستحقتَين لاسميهما.

اللُّغة والهُويَّة هما إذًا وجهان لشيء واحد، بعبارة أخرى: إنَّ الإنسان في جوهره ليس سوى لُغة وهُويَّة، اللُّغة فِكرُه ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه هي وجهه وحقيقته وهُويته، وشأن الجماعة، أو الأمَّة، هو شأن الفرْد، لا فرق بينهما، وفي ذلك الإنسان ومقوماته.

وعلى الرغم من دوائر الالتقاء بين اللُّغة والهُويَّة فإن من المشروع أن نسأل: ***هل ثمةَ دوائرُ يفترقان فيها؟***

والجواب: إنَّ ثمة مَن يضع حدودًا بينهما، أو لنقل: إنَّ بعضهم يرى الهُويَّة أكثرَ في غير اللُّغة (الحفيان، د.ت، ص١٥)".

لقد أثبتت العديد من الدراسات أنَّ هنالك علاقة وثيقة بين اللغة والهوية الذاتية والجمعية، وكذلك

العلاقة قائمة بين الإلمام بلغة الأم والتحصيل العلمي والشخصي. إنَّ الاعتراف بالحقوق اللغوية منصوص عليه في المواثيق الدولية ويعتبر جزءًا لا يتجزأ من حقوق الإنسان.

لذلك فإن العلاقة بين اللغة وأصحابها علاقة تفاعلية، يصعب معها الفصل بين الطرفين، فهي هم، وهم هي، وبعبارة أخرى هي (اللغة) الهوية، وهي (الهوية) اللغة.

وعلماء الاجتماع ينظرون إلى اللغة على أنها حقيقة وظاهرة اجتماعية، وتعبير عن تنظيم اجتماعي لمجتمع معين. ومن هنا نفهم تعلق كل شعب بلغته؛ لأن الأفراد دائماً يرتبطون بأبنيتهم الاجتماعية (الحفيان، د.ت، ص١٦)". كأن هؤلاء يرون في اللغة أيضاً مظهراً من مظاهر الهوية، أو الوجود. ويربط أحد الباحثين بين مستقبل اللغة ومستقبل الهوية على أساس أن اللغة إحدى قسماتها (الحفيان، د.ت،ص١٧) "، ولا شك أن ربطه هذا صحيح، وبخاص في حال لغة كالعربية، ترتبط بالدين، وتكتسب قداسة حتى عند غير الناطقين بها، فضياعها يعني ضياع أحد المقدسات. لكن الله – سبحانه – قد حفظها من التفكك والموت.

وتعد اللغة هي المكون الأول والرئيس في الهوية الثقافية،(تكون علاقة الوجود والعدم بين اللغة والثقافة التي تمثلها لابينها وبين "الأمة")؛ لأن اللغة في أي مجتمع ليست مجرد كلمات وألفاظ للتفاهم بين أفراد المجتمع، ولكنها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية ومعتقدات وخصوصيات هذا المجتمع(وهذه هي الثقافة)، وتبعا لذلك يعني الحفاظ علي اللغة ضمان بقاء واستمرارية أي مجتمع .

إذا قلنا إن اللغة هي الهوية فإن الهوية هي ظاهرة لغوية بحد ذاتها وهي الماهية الخاصة وإن تأويل الهوية يعد أمراً مركزياً للوجود الحقيقي للغة وأدائها وإذا كانت اللغة الوعاء الحاوي للثقافة ووسيلة التفكير التي من خلالها تتحدد رؤية العالم ونواميسه فإن معرفتها تعتبر ركيزة أساسية لتحصين الهوية والماهية (الذات والشخصية) وإن قوتها في أمة ما تعني استمرارية هذه الأمة في أخذ دورها بين بقية الأمم لأن غلبة اللغة بغلبة أهلها ومنزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم .

فاللغة جزء لا يتجزأ من ماهية الفرد وهويته، كما أنها تتغلغل في الكيان الاجتماعي والحضاري لأي مجتمع بشري، وتنفذ إلي جميع نواحي الحياة فيه، لأنها من أهم مقومات وحدة الشعوب، وقد أشارت منظمة اليونسكو على لسان مديرها إلى أهمية الحفاظ على اللغات الخاصة بالمجتمعات حيث قال:

إن "اللغات هي من المقومات الجوهرية لهوية

الأفراد والجماعات، وعنصر أساسي في تعايشهم السلمي، كما أنها عامل استراتيجي للتقدم نحو التنمية المستدامة، وللربط السلس بين القضايا العالمية والقضايا المحلية... تعدد اللغات عن بصيرة هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن لجميع اللغات إيجاد متسع لها في عالمنا الذي تسوده العولمة، لذلك تدعو اليونسكو الحكومات وهيئات الأمم المتحدة ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات التعليمية والجمعيات المهنية وجميع الجهات المعنية الأخرى إلى مضاعفة أنشطتها الرامية إلى ضمان احترام وتعزيز وحماية جميع اللغات، ولا سيما اللغات المهددة، وذلك في جميع مجالات الحياة الفردية والجماعية . (ماتسورا،٢٠٠٨)

ومن المؤكد أن إتقان اللغة العربية يساعد علي الانسجام والتناغم بين أفراد المجتمع العربي، بل والاعتزاز بهويتهم؛ لأن أبناء اللغة الواحدة يشكلون قوالب فكرية وثقافية مشتركة، لذا فاللغة والثقافة تسهم مساهمة فعالة في الحفاظ علي الهوية الثقافية العربية والإسلامية (الماحي، ٢٠٠٧، ص ٦٥).

إذن فالعلاقة بين اللغة و الهوية الثقافية علاقة قوية لا تنفصم، ولهذا كان من أهم مقاييس رقي الأمم مقدار عنايتها بلغتها تعليما ونشرا وتيسيرا لصعوباتها

وعلى الرغم من ذلك فإن اللغة هوية، وليست "الهوية" لغةً، بمعنى أن اللغة ليست المقوم الوحيد للهوية، وإن كانت من أهم هذه المقومات، وأشدها خصباً وعمقاً وتركيباً. إن العلاقة بين اللغة والهوية هي علاقة الخاص بالعام، فالهوية أعم من اللغة؛ لأن الهوية لها تجليات عديدة غير "اللغة" إذ إنها ببساطة متناهية ليست سوى تلك القواسم المشتركة أو القدر المتفق عليه بين مجموعة من الناس، ذلك الذي يميزهم ويوحدهم، وليست اللغة وحدها التي تقوم بهذه المهمة، وهذا يعيدنا إلى المقومات الأخرى للهوية.

٢- اللغة.. وعناصر الهوية الأخرى:

الهوية نسيج يتكون من عدة خيوط سبقت الإشارة إليها، كل خيط منها يمكن أن يكون نسيجاً وحده، ويتحول إلى هوية، كما أن كل خيط يمكن أن يتآخى مع خيط آخر أو أكثر في تشكل هوية واحدة، وقد يحظى خيط ما بدرجة أكبر من القوة، ويطغى على ما عداه، ويكون أفصح حضوراً لدى الجماعة نفسها، وفي عقول الجماعات الأخرى عنهم. ومن هنا نقول: إن "هوية" هذه الجماعة لغوية، أو تاريخية، أو دينية، أو جغرافية أو مجتمعية... إلخ، مما يعني أن العنصر الطاغي هو هذا أو ذاك، دون أن يلغي ذلك دور العنصر الآخر، أو العناصر الأخرى بالمرة.

واللغة والهويّة جمعِيَّتان، والمقصود من "الجمعيَّة" أنَّهما لا تعيشان داخلَ الفرد منعزلاً، إلاَّ في صورة ساذجة، لا تجعل منهما مستحقتَين لاسميهما.

اللُّغة والهُويَّة هما إذًا وجهان لشـيء واحد، بعبارة أخرى: إنَّ الإنسان في جوهره ليس سوى لُغة وهُويَّة، اللُّغة فِكرُه ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه الأشياء هي وجهه وحقيقته وهُويته، وشأن الجماعة، أو الأمَّة هو شأن الفرْد، لا فرق بينهما، وفي ذلك الإنسان ومقوماته. على أن بعض المنظّرين يلغون دور بعض المقومات في نسيج الهوية، فالماركسيون مثلاً يرون أن الهوية هي حصيلة خمسة مقومات، فقط هي: اللغة، والتاريخ، والتكوين النفسي والثقافي، والاقتصاد، والجغرافيا. والألمان لا يضعون في حسبانهم سوى العِرق أو الجنس، واللغة، والفرنسيون يعتمدون مقوم الإرادة أو المشيئة الذي يقوم بدوره على الجغرافيا والاقتصاد. والقوميون العرب يركزون على اللغة والتاريخ. والقوميون السوريون على الجغرافيا (الأرض). والإسلاميون على الدين. والتساؤل الذي يمكن أن يثار: هل يمكن ترتيب هذه العناصر وفق أوليتها ودرجة أهميتها في صياغة الهوية؟

وبداية فإن الدين – في رأيي – يأتي في طليعة هذه العناصر، ذلك أنه يرتبط بالبنية العميقة للإنسان، والتكوين الداخلي لهذا الكائن، والمؤمن به يعتقد اعتقاداً يقينيّاً أنه صادر عن الله خالق الكون وخالق الإنسان، ومن ثم فهو – أي الخالق – أدرى وأعلم وأقدر على ترتيب مصالحه، ورسم خريطة حياته، ووضع خطة سعادته ومستقبله. وهذا ما يفسر لنا استمرار الأديان السماوية واستقطابها لمجموعات هائلة من البشر، سواء استمرت على نقائها، أو شابتها شوائب كثيرة أخرجتها عن حقيقتها. ومن الدين تنبثق مجموعة من القيم التي ترتبط بهذا الدين، وتحدد ملامح أتباعه.

والدين ليس سوى مستوى واحد، فمن المعلوم أن الأديان ارتبطت بالظروف التاريخية، ومستوى العقل البشري فيها، و"الإسلام" هو آخر هذه الأديان، بلغ العقل البشري عند نزوله مرحلة متقدمة من النضج، وجاء ليستمر ويتوافق مع الزمن الآتي، فهو دين ودنيا، عبادات وفكر، علاقة مع الخالق ومع الكون ومع الإنسان.

وقد ظل الإسلام هو "الهوية" لشعوب كثيرة، في مناطق عديدة، متقاربة، ومتباعدة، ولا يزال، وإن كان قد تراجع امتداداً وتأثيراً إلى حد كبير نتيجة لظروف وعوامل عديدة.

إلاّ أنّنا لا نشكّ في فضل الإسلام في الحفاظ على أصالة اللغة العربية وعلى ألفاظها ونبضها ليس كمثله فضل، وهذا يجعلنا ننظر مليا في الفرق الجوهري الذي يفرضه الموقف الإسلامي الشامل لكل الأديان التي تظلها مظلة حضارته، بالمقارنة بالموقف الشمالي الغربي- المرتبط بالعصر الصناعي من جهة، وتأليه

الإنسان الفرد من جهة أخرى، ونوع التنمية الكمية الاستهلاكية المغتربة من جهة ثالثة، واستنزاف الطبيعة من جهة رابعة: كل ذلك قد صاغ الفكر الأوربي في القرنين الأخيرين، بما آل إليه، ويمكن أن نستنتج كيف تدخلت هذه الصيغة في تركيبهم اللغوي حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من مناهج تفكيرهم وبحثهم واستنتاجاتهم وتنميتهم وتخطيطهم. لكننا نحن بإسلامنا (بالمعنى الأشمل الذي يحتوى إخواننا المشاركين حضارة الإسلام من لغات أخرى غير العربية، نختلف، (سلبا وإيجابا) أو ينبغي أن نختلف بفضل هذه اللغة التي مازالت تقاوم ما نفعله فيها وفينا، ذلك أن اللغة العربية بثباتها وتحملها كل هذه القرون قد ساهمت حتما في حفاظنا على علاقتنا بالطبيعة، ولعلها هي التي توحي لنا مؤخرا- إذ نحاول الإفاقة- أن للحياة هدفا آخر، وأن الإنسان ليس إلها، وأن المنهج القائم الغالب عندهم والمحتكر لما يسمى علما، لا يفي لسبر غور الحقيقة، كل الحقيقة أو أغلبها، وأن لنا علاقة متصلة بالطبيعة، غير الاقتحام والسيطرة والاستنزاف.

وعلى الرغم من أهمية الدين فإن الغربيين قد أقصوه منذ مطالع عصر النهضة، وحصروه في زوايا محددة لا تتجاوز الطقوس. لقد سقط "الدين" بوصفه أساساً من أسس الهوية عندهم، كما توارى(في المجال الإسلامي؟) بسقوط الخلافة العثمانية، وضعف صوته، على الأقل على المستوى الرسمي والسياسي.

يلي الدين – في رأيي – اللغة، وبعدهما يأتي التاريخ، فالتاريخ يصنع هوية، لأنه مجموعة كبيرة من المشتركات للجماعة البشرية، تتكون عبر الزمن، وتنضج على ناره، وهي تشمل مواقف انفراج وتأزم، أفراحاً وأتراحاً، وبالإجمال هي ذكريات تستقر في أعماق الذاكرة الجمعية، وتربط المصائر، وتصهر الناس داخل إطار واحد.

وكلما كان التاريخ ممتداً وحافلاً وأكثر تشابكاً كان أقدر على التأثير وصياغة الهوية؛ ولذلك فإن "الأمة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت شعورها

لا شك أن الجغرافيا (الأرض الواحدة) تقرب الجماعة البشرية، وتصبغها بصبغة خاصة، ويتجلى ذلك على المستوى اللغوي في ظهور اللهجات، وتقارب الأصوات، وعلى المستويات الأخرى: الاجتماعي (العادات والتقاليد) والخَلْقي (الشكلي)، الخُلُقي.. (القيمي)... إلخ.

٣- اللغة.. ونظريات الهوية:

الهوية قديمة قدم الجماعات البشرية نفسها، والنظريات التي حاولت أن تقعِّد أو تضع الأسس اللازمة لتشكيل الهويات جاءت متأخرة كثيراً. ولن تتضح مكانة اللغة ضمن منظومة الهوية، دون الكشف

عن موقعها على خريطة هذه النظريات.

لقد شهد أواخر القرن الثامن عشر والقرنان التاسع عشر والعشرون العديد من النظريات التي تؤسس لفكر الهوية: النظريات الألمانية، والفرنسية، والإيطالية، والماركسية والستالينية، ودعوات الرابطة الإسلامية، والرابطة العثمانية، والرابطة العثمانية الإسلامية، والشرق أوسطية، والنزعات العرقية في مصر وسورية ولبنان، والرابطة الإفريقية، والقومية العربية، والقومية السورية، وغيرها.

بعض هذه النظريات ارتكز على "اللغة"، فالنظرية الألمانية، التي تقوم على فلسفة هيغل (المثالية) تقول منذ أوائل القرن التاسع عشر: إن أساس القومية (الهوية) ومعيارها الصحيح هو اللغة، وفي هذا الإطاريرى هيردر(ت ١٨٠٣)" أن قلب الشعب إنما ينبض في لغة الشعب، وروح الشعب تكمن في لغة أسلافه، وهي الوعاء الذي استودعه الشعب كل ما أنجزه من نفائس الفكر وذخائر الأعراف والفلسفات والعقائد. أما فخته (ت ١٨١٤) فيقول: "إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يشكلون كياناً واحداً متكاملاً ربطته الطبيعة بوشائح متينة وإن تكن غير مرئية". وبعد أكثر من مائة عام جاء ماكس نورداو (ت ١٩٢٣) الذي "بشّر بفكرة الربط بين اللغة أداةً للتواصل بين الفرد والجماعة، واللغة وسيلة للإبداع الثقافي والتحصيل المعرفي، ثم اللغة كوسط سياسي – اجتماعي، تتحقق في ظله الديمقراطية ويتحقق العدل" (عيسى، د–ت، ص١٤٨–١٤٧).

صحيح أن النظرية الألمانية لا تكتفي باللغة، بل تضيف إليها الأصل أو العرق لكن اللغة تظل العامل الأساسي في تشكيل الهوية.

وجدير بالذكر أن التركيز على اللغة... حتى نظرّياً، وبالمعنى الذي يجعل منها أساس ربط أفراد الجماعة قديم، يرجع إلى ابن خلدون الذي رأى في العربية الرابطة التي تجمع العرب.

وكما حظيت "اللغة" بهذه المكانة عند الألمان فإنها في فكر القومية العربية، وممثله ساطع الحصري، تجاوزت تلك المكانة وتحولت إلى محور الفكر القومي العربي، فـ"اللغة" هي "روح الأمة وحياتها..." إنها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري، وهي من أهم مقوماتها ومشخصاتها" و"أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية، هو: وحدة اللغة ووحدة التاريخ (الحصري، ١٩٨٥، ص١٦٤)" و"نستطيع أن نقول: إن الأمم يتميز بعضها عن بعض – في الدرجة الأولى – بلغتها. وإن حياة الأمم تقوم – قبل كل شيء – على لغاتها (الحصري، ١٩٨٥، ص٢٩)".

وكما أنّ هناك عنصر آخر (الجنس أو الأصل) في النظرية الألمانية هناك عنصر آخر في فكر الحصري هو

"التاريخ" على أن هذا العنـصر ليس سوى تابع لـ "اللغة"، ولذلك فإن "الأمة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت شعورها، وتستطيع هذه الأمة أن تستعيد وعيها وشعورها بالعودة إلى تاريخها القومي"، في حين أنها "إذا ما فقدت لغتها تكون عندئذ قد فقدت الحياة، ودخلت في عِدَادِ الأموات، فلا يبقى سبيل إلى عودتها إلى الحياة، فضلاً عن استعادتها الوعي والشعور". فقدان اللغة إذن موت، ونسيان التاريخ غياب مؤقت عن الشعور.

وقد بدأت التيارات الأنثروبولوجية بدءا من نظرية النسبية اللغوية تؤكد على أن الإنسان محكوم في طرق تفكيره، واختيار سلوكه بثقافته، وما تمليه عليه لغته الأولى. وذهب رائدا تلك النظرية (سابير وورف) إلى أبعد من ذلك، عندما بينا أن المرء لا يستطيع أن يكتسب من التجارب سوى ما تسمح له به لغته(Easthope, 1998, p. 63.).

وكما أن اللغة تصون وتحمي الهوية، فإن اللغة تنمو وتنتشر ويعلو شأنها ويزداد الاهتمام بها بنمو الهوية وثبات حضورها الوطني والإنساني، فقد أكد ابن خلدون أن غلبة اللغة العربية بغلبة أهلها، وأن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الامم.

فاللغة إذن تحيا بالاستعمال ولا تحيا في بطون الكتب، وأصبح معروفاً أن اللغة وإتقانها يؤثران في مدى الحصيلة المعرفية ودرجة الإبداع والإتقان العلمي، وأن اللغة تهيمن على الحياة العلمية والعملية وتُغْني الحضارة الإنسانية.

ويرى (حسن حنفي) أنه في الهويات يتوحد العالم كله، تحت سيطرة المركز، وتصبح ثقافته هي نموذج الثقافات، وباسم المثاقفة يتم انحسار الهويات الثقافية الخاصة في الثقافة المركزية مع أن مصطلح المثاقفة سلبي ويعني القضاء على ثقافة لصالح أخرى، ثم ابتلاع الأطراف داخل ثقافة المركز، وتبرز مفاهيم جديدة؛ التفاعل الثقافي.. لتنتهي إلى أن ثقافة المركز هي الثقافة النمطية، ممثلة الثقافة العالمية(حنفي، ١٩٩٩، ص٣٧-٣٨)"، وأما الآن فنجد ضعف اللغة العربية وبسبب اللغة الأجنبية التي تعد هي اللغة المهيمنة، فالإنكليزية تمثل ما نسبة ٨٠٪ من رواد الشبكة المعلوماتية (الإنترنت).

فالهيمنة اللغوية هي تلك الظاهرة التي تسيطر على عقول شعب معين اتجاه لغة أجنبية مهيمنة على لغتهم الأصلية، بحيث يعتقدون أنه يجب عليهم استخدام اللغة الأجنبية في تعاملاتهم اليومية، وفي نظامهم التعليمي، وفي الجوانب الفلسفة والأدب، والمعاملات الحكومية والقضائية والإدارية، إن الهيمنة اللغوية تتبع منهجية تمكنها من السيطرة حتى على عقول النخبة، بحيث يظن المرء بأن لغته الأصلية لا ترقى إلى مصاف

اللغة الأجنبية المهيمنة وبذلك يبدأ العزوف عن اللغة الأصلية واحتقارها.

إن تعلم لغة أجنبية يدل على طريقة حياة جديدة وثقافة جديدة، والتعرف والتعلق بالآخر لتغدو هي ذات الأنا، فإن دخلت هذه اللغة على حياة لغة أخرى قتلتها وحلت محلها، حتى وإن خرجت هذه اللغة الأجنبية إلا أنها تبقى في أنسجة اللغة فهي تقوم على أنسنة وتغريب اللغة.

وقد تفقدنا بهذه الظاهرة الاجتماعية لغتنا وماهيتنا، وإذا ما أمة فقدت لغتها تكون عندئذ قد فقدت الحياة، ودخلت في عِدَادِ الأموات، فلا يبقى سبيل إلى عودتها إلى الحياة، فضلاً عن استعادتها الوعي والشعور"، فقدان اللغة إذن موت.

إن التبعية الفكرية والثقافية والغزو الفكري، والانبهار بالآخر، وبثقافته يضعف اللغة ويبعد أهلها عنها، فهو يتناول لغة الآخر وبسبب التبعية أو الانعزالية يؤدي هذا إلى إضعاف الارتباط باللغة وأحيانا يؤدي هذا إلى اندثار اللغة وموتها، ويجعلنا نفقد هويتنا بعد هذا الابتعاد عن اللغة، فالهوية هي اللغة. واللغة إن كانت قوية وصلبة فباستطاعتها هضم المؤثرات اللغوية والثقافية من أي لغة وحضارة، ولا يؤثر ذلك في نسيجها اللغوي، وبالتالي يقوي هذا من الحفاظ عليها وعلى الهوية والثقافة، وإن كانت اللغة ضعيفة فهي لا تستطيع هضم المؤثرات فتنصهر اللغة في المؤثرات اللغوية الجديدة والقوية وعملية الانصهار لا تكفي بل تقوم هذه اللغة على الهيمنة والأخرى على التبعية، وتطغى اللغة المهيمنة على الهوية وطابعها. فاللغة هي عنوان الوجود والهوية، باعتبارها المستودع الأمين الذي تختزن فيه مقومات الانتماء، وذاكرة المستقبل، ولا تزول إلا بزوال الأمة، فهي مكنونها ومصدر تحديد الملامح الأساسية المعبرة عن طبيعتها، والمرتبطة بالتراث والماضي والحاضر، وهي تحدد ملامح المستقبل بتطورها مع تطور العلاقات الإنسانية والتقنية. يقول (ابن خلدون): اعلم أن لغة أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها"(بن خلدون، د-ت، ص٣٧٩)، فلما هجر الدين اللغات الأعجمية، وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا، هجرت كلها في جميع ممالكها؛ لأن الناس تبّع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب.

فاللغة هنا تساوي الهيمنة وترتبط بها، وهذا يعني القوة، لكن اللغة ليست هيمنة في حد ذاتها، بل الهيمنة هي ما يعلّيها أو يميتها، ويعد ابن خلدون اللغة المستخدمة هي لغة الغالبين، وكانت آنذاك اللغة العربية التي غدت المهيمنة والمستخدمة، كما أنها لغة

الشرع التي أضفت على الشخصية العربية خلوداً واستمرارية في الحفاظ على الطابع العربي وهويته، ولا يجوز استخدام أي لغة أخرى خاصة في النص المقدس والصلاة، وفي زمن الاستعمار هيمنت اللغة الفرنسية والإنكليزية، لكن لم تكن الإنكليزية مساوية للفرنسية، وحين تم إقرار اللغتين معا عارض الفرنسيون بشدة وضع الإنكليزية في وضع مساوٍ للفرنسية، وعندها أدرك الفرنسيون أن وقت هيمنة اللغة الفرنسية قد انتهى، لذلك قامت اللغة الفرنسية بعملية ترويج لنفسها وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، من خلال الهيئات والمؤسسات التي تدعو وتدعم توسع اللغة الفرنسية عالميا فتم إنشاء التحالف الفرنسي لنشر اللغة الفرنسية، وللحفاظ على هذه اللغة داخل فرنسا قامت السلطات بفرض غرامة مالية على من يتحدث بغير الفرنسية أو يستخدم لغة غير الفرنسية في الإعلان والإعلام وفي لافتات المحال وفي الاتفاقيات، فاللغة المستخدمة هي الفرنسية للحفاظ عليها من الإنكليزية - العولمة، وفي الراهن سيطرت اللغة الإنكليزية على الإنتاج اللغوي والثقافي، وغدت اللغة العالمية في الاتفاقيات الرسمية والشعبية وحتى في الحياة اليومية العادية يمارسها الشاب العربي خاصة وبكثرة، وكأنه استغنى عن اللغة العربية وغدت هي البديل.

وقد يكون "هناك لغة مهيمنة تمارس ضغوطا على الوظائف الاجتماعية التي تؤديها لغة أخرى، يقول نلده (Nelde) أي اتصال لغوي هو مصدر محتمل لنشوب النزاعات فلا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها الحضارية ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة على نشدان العالمية وعلى الأخذ والعطاء إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان شخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن، والأمة والدولة، فأي مس بهذه الأركان هو مس بالهوية الثقافية والعكس صحيح كما يقول الجابري (الجابري، ١٩٩٨،ص١٥-١٦)".

وهذا يشكل أزمة هوية، ويرى (تركي الحمد) أن هذه المشكلة جوهرية، و قد لا نحسها مباشرة، ولكنها مرافقة لنا في كل نواحي الحياة العقلية والعملية في آن واحد، مرافقة لنا على مستوى تنظير المنظرين المجرد وفي القرارات السياسية المهمة في التعاملات الاجتماعية وفي علاقة الفرد بالفرد في الجماعة الواحدة، والجماعة بالجماعة في الدولة الواحدة، والدولة بالدولة في الأمة الواحدة، أو ما يفترض أنه أمة واحدة في ظل أزمة الهوية المتحدث عنها، إن (الأنا) والـ(نحن)، الـ(هو) والـ(هم) كل ذلك ينتمي إلى جوهر واحد وينطلق من منطلق واحد ألا وهو "الهوية" و"الذاتية" سواء أكان ذلك على مستوى فردي شخصي أو مستوى جماعي اجتماعي، ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام وإنما وجدت

وتوجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية، وبتداخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة، وهذه الثقافات قد يكون منها ما يميل إلى الانغلاق والانكماش ومنها ما يسعى إلى الانتشار والتوسع وقد يكون هناك ثقافات تنكمش أحيانا وتنتشر أحيانا(الجابري، ١٩٩٨، ص١٥-١٦)".

فأزمة الهوية ماتزال قائمة في الوطن العربي كما يقول (علي محافظة)، وتتشكل في نقاط منها:

- عجز العرب عن بناء الدولة الحديثة، والمقصود بها دولة القانون التي يتمتع فيها المواطن بحقوقه ويلتزم بواجباته.

-استمرار الاستبداد السياسي في الوطن العربي وهذا الاستبداد هو ما يدفع مختلف الفئات الاجتماعية إلى الشعور بالظلم وعند ذلك تظهر أزمة الهوية. ويعرض نقاطا عدة تترجم عجز الدولة العربية عن بناء دولة حديثة مترابطة الانتماءات بعيدا عن الولاءات الضيقة، ووجود الأجنبي وتدخله في السياسات الداخلية والتبعية الفكرية، كل هذه تشكل أزمة هوية.

فخطاب الهوية -في رأي من يدعو للعالمية وتجاوز الذات -هو خطاب انغلاق على الذات ومن ثمة متخلف وسلبي، والانغلاق على الذات مناقض/ منافٍ لمنحى التاريخ، فنحن الآن في طريقنا إلى العولمة/ القرية الصغيرة وهذا يحتاج إلى انفتاحية على العالم لا انغلاقية وأن نخرج من العقائدية الضيقة للهوية ولمفهومها، وما تريده هذه المنظومات هي توحيد العالم، وهذا يهدد الهوية؛ فالهوية ميزة كل شعب له تاريخه وثقافته ولغته ومعتقده الخاص به، ويرى (برهان غليون) أن باستطاعتنا الحفاظ على هذه الهوية أو أن الشعوب تشعر بالحاجة لتبني لنفسها في هذا العالم الواحد(العولمة) شخصية وكياناً متميزاً، أي إن تعيد النظر في دورها ومقاصدها واستراتيجيتها وغاياتها، وليست أزمة الهوية شيئاً آخر سوى إعادة نظر الجماعة الكبرى في وصفها التاريخي، والعالمي، وتحديد أهدافها ومكانتها ووظيفتها الخاصة وتوجهاتها العميقة فيه، فتوحيد العالم لا يلغي خصوصية الوظائف التي ينطوي عليها عمل كل جماعة ولكنه لا يتحقق إلا من خلال تعيينها، فاللغة هي السبيل القوي للحفاظ والثبات على المشاركة في الجماعة وعلى الهوية الخاصة بكل فرد.

ويورد (ر.ل.تراسك) مثالاً على أن الحفاظ على اللغة حفظ للهوية بأن هناك سباكاً يستخدم لغة خاصة بطبقته وحين يتخلي عن هذه اللغة ويستعمل لغة أخرى ليست من طبقته يعني هذا تخليه عن هويته، وكأنه يقول: "لم أعد واحداً من جماعتكم" لذا تعد

اللغة أداة بالغة القوة للإعلان عن هوية شخص ما والحفاظ عليها، وتعدد اللغات في العالم ليس واقعاً حتمياً علينا العيش معه، بل هو أداة للهوية الإنسانية لا يمكن الاستغناء عنها من أجل مواجهة متطلبات الثقافة المحلية والمحافظة على السلوك الاجتماعي وجعله يؤدي وظائفه تحت مختلف الظروف الاجتماعية، والتقليل من تعدد اللغات يؤدي إلى التقليل من إقامة جماعة إنسانية ذات صبغة خاصة بهم، فالعولمة متحققة في الهيمنة الحضارية والتبعية الثقافية؛ وتبعية الأطراف للمركز، تجميعا لقوى المركز وتفتيتاً لقوى الأطراف.

فتقع الهوية ضمن سيطرة مجموعة من المنظومات التي يفرضها الآخر عليها، فالهوية الآن متزعزعة في نفوس الكثير من الناس العامة والخاصة منهم (الصفوة) بسبب ما يعتري العالم من تبعية وهيمنة ونشر لقيم الغرب وعاداته وتقاليده وهويته، وتبقى الهوية ضحية هذه المنظومات الجديدة التي طرأت، فكل مركز قوي يحاول أن يتبعه الجميع في مساره ومركز القوى الآن بيد الغرب بفضل العولمة، ويحاول البعض الدفاع عن الهويات من خلال ردة فعل عكسية بالتمسك بالأصالة والابتعاد عما ينتجه الغرب والخروج من منطقة الاستهلاك إلى منطقة الإبداع، لكن لا يعني هذا الانغلاق على الذات ورفض الغير، وقد أطلق (حسن حنفي) على موقف كهذا "تصحيح الخطأ بخطأ ومجموع الخطأين لا يكوِّن صوابا"، بل لا بد من إعادة بناء الموروث القديم المكون الرئيسي للثقافة الوطنية بحيث تزال معوقاته وتستقر عوامل تقدمه، ويتم ذلك عن طريق تجديد لغته من اللغة المنغلقة وإلى اللغة المفتوحة، والحفاظ على الخصوصيات لا يعني الانغلاق والتقليد والانكفاء على الذات واستبعاد الآخر والخوف من العصر، إنما البداية بالأنا قبل الآخر، وبالقريب قبل البعيد، وبالموروث قبل الوافد. كما يتطلب الدفاع عن الهوية كسر حدة الانبهار بالغرب، ومقاومة قوة جذبه، والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية، ويضفي هذا إلى قدرة الأنا على الإبداع والتفاعل.

وبقدر ما تعني العولمة الهيمنة اللغوية الثقافية الأميركية عبر فرض النموذج الثقافي الكوني الأميركي على الأمم والقوميات ومنها الأمة العربية، فإنها تعني اجتثاث الثقافة العربية وتغييبها وإحلال الثقافة الأميركية محلها، بصرف النظر عن أساسها ومرجعياتها التي ليس لها أية علاقة بالهوية القومية للأمة العربية ولتاريخ الصراع الحضاري العربي الإسلامي مع العالم الغربي، ويقوم بعض الباحثين والدارسين برفض النموذج الغربي، ومواجهته وعدم الانسلاخ عن الهوية، فالخوف والصراع مع العولمة والأنظمة الجديدة

المطروحة والتي يروج لها من قبل منتجيها تدل على الخوف على الهوية القومية وإدراك المخاطر التي ستقع على الخصوصية الثقافية العربية.

و يمكن في ضوء ما تقدّم تعريف الهوية الثقافية العربية الإسلامية بأنها مجموعة السمات والخصائص التي تنفرد بها الشخصية العربية، وتجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الثقافية الأخرى، وتتمثل تلك الخصائص في اللغة والدين و التاريخ و الجغرافيا والعادات والتقاليد والأعراف وغيرها من المكونات الثقافية ذات السمة العربية والإسلامية إذن فهذا معناه أن الهوية الثقافية العربية تتكون من عدة عناصر مرتبطة ببعضها، وأي خلل في أحدها يؤدي إلي خلل في باقي مكوناتها. ولعلّ المتفحص للموقف الحضاري المعاصر، يجد أن ثمة خطر يحدق بأمتنا العربية الإسلامية، ويتمثل في تهديد هويتها وطمس معالم شخصيتها الوطنية، ومصدر هذا الخطر يكمن في سطوة العولمة وما تروج له من دعاوي التمسك بالقيم الإنسانية العالمية، واحترام حقوق الإنسان، ومطالب النظام العالمي الجديد، والمصير الإنساني المشترك، والقرية الكونية، والتربية من أجل السلام العالمي... إلى غير ذلك من مصطلحات ومفردات يعج بها قاموس العولمة المعاصر .

وأمام سطوة دعاوي العولمة المشار إليها، نخشى أن تتراجع قيم الانتماء والولاء، ومن ثم يفرغ مفهوم الهوية من أركانه الرئيسية، الدين، اللغة، القيم، التراث، التاريخ، وحينئذ يصاب المجتمع بالفتور وتتلاشى أواصر المحبة والتماسك الاجتماعي، وتتبدد القيم الحافزة على النهوض الثقافي والاجتماعي .

وقد أشار "العقاد" إلي تلك الحملات بقوله: "الحملة على لغتنا الفصحى حملة علي كل شيء يعنينا، وعلي كل تقليد من التقاليد الاجتماعية والدينية، وعلي اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة؛ لأن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي المسلم قواما يميزه في سائر الأمم، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم، فلا تبقي له باقية" (العقاد، د.ت، ص ٣٠-٣١).

و عليه فإن الهوية في عصر العولمة أصبحت مرتبطة اشد ارتباط بالمستويات الثقافية و السياسية والاقتصادية بحيث لا يمكن الحديث عن هوية عربية منفصلة عن هذه المستويات لما لها من آثار مباشرة على هذا المكون وإن تأمين الهوية العربية ينطلق من قدرة الدول العربية على فهم خصائص العولمة و التكيف مع آلياتها بالشكل الذي يحفظ لها هويتها و ينشط عملية التفاعل مع انجازاتها.

فالنظر لمستقبل الهوية العربية "ينبغي أن تكون

مواجهة العرب للعولمة من خلال إطار إعادة تعريف الذات ومقاومة العولمة كجزء من منظومة عالمية، و هذا يستدعي الاعتراف بقصور أنظمتنا الاجتماعية و الثقافية و كسر آليات التبعية والانطلاق نحو العالمية بهدف القضاء على هامشيتنا التاريخية، و إن الاستسلام و الرفض للعولمة هو الثقافة المضادة لثقافة العولمة(غليون، ١٩٩٨،ص٦١).

من هذا المنطلق فإن حتمية الإصلاح التعليمي والسياسي و الاقتصادي و الثقافي ضرورة ينبغي الإسراع فيها فإصلاح نظم سياسات التعليم و التكوين يمثل عنصرا حيويا في هذا الإطار على اعتبار أن العولمة موجهة في الأصل نحو كيان المواطن العربي وتستهدف أفكاره وقيمه، وبالتالي إيجاد قوة بشرية مدربة و مؤهلة قادرة على استيعاب التطورات المرتبطة بظاهرة العولمة، كما أن التعليم بمختلف أنواعه يشكل الدعامة الرئيسية لجهود تنمية الموارد البشرية لذا ينبغي ايلائه العناية بالتطوير و التحديث على اعتبار أن التعليم يتقاطع مع العولمة في أكثر من موقع، فثورة المعلومات و الاتصالات الحديثة بدأت بإحداث ثورة في أساليب التعليم و الوسائل المستخدمة في الحصول عليه.

إن الهوية باعتبارها محتوى ثقافيا متجدد الشكل والظهور و مطلب مهم ينبغي النضال من أجله و تنمية الإحساس به و تقوية العلاقة به و تمتينها بمحتويات تحركها من صورة جامدة إلى صورة عصرية، و ذلك من خلال استيعاب التغيرات و الانجازات التي أتت بها العولمة وتكييفها وفق حاجاتنا و مصالحنا معترفينا بالأخطاء التي وقعنا فيها و التي أبعدتنا عن حركة التطور ومسار التحديث باتجاه التغريب بفعل التواطؤ غير المعلن لبعض القوى الوطنية و المثقفة مما جعل البيئة الثقافية العربية أسيرة الفكر التقليدي الذي يعيد تجديد نفسه باستمرار فيمنع حركة التحديث من تحقيق غايتها بالتحول إلى حداثة مكتملة، غير قادرة على تجاوز تناقضاتها بالحوار والتسامح الذي يميز هوية المجتمعات العربية . فإذا كان التجديد كما في الداخل ضروري فإن التفاعل مع عوامل التقدم الخارجية أشد إلحاحا و لا تجديد بدونه، لأن الحداثة التي نطالب بممارستها و الإفادة منها هي الحداثة الكونية، أما التعلق بحداثة خاصة بنا فهو فهم من الأوهام.

لذلك نقول ختاما اللغة العربية هي أبرز مقومات الثقافة العربية، وأزمة اللغة المعاصرة هي أزمة الهوية الثقافية في الوقت ذاته، فاللغة هي أداة التعلم والتفكير، كما أنها تمثل ذاكرة الأمة، وهي أداة الاتصال الاجتماعي، ولهذا كله" فاللغة العربية تعد من أكثر اللغات أهمية، ففيها الخصوصية القومية والوحدة

الثقافية، والتراث والاستمرارية الثقافية، وحيوية الفكر العلمي والإبداع الأدبي والمعتقد الديني(المسدي، ١٩٩٩، ص ٤٠)"، ولذلك فاللغة العربية هي الهوية بحق " فهي أداؤنا لكي نصنع المجتمع واقعاً، وثقافة كل أمة كامنة في لغتها ومعجمها، واللغة العربية هي أكثر لغات العالم ارتباطا بالهوية، وهي اللغة الوحيدة التي صمدت ١٧ قرنا سجلا أمينا لحضارة أمتنا في ازدهار، وشاهدا علي إبداع أبنائها(علي، ٢٠٠٥، ص ٧-١٤). لذلك لابد من الاهتمام باللغة العربية، فالمسلمون الأوائل حققوا أعظم المآثر في القرون الوسطي، وأضافوا كثيرا للعلم، وكانت العربية هي لغة هذا العلم وتلك الحضارة " فلقد كتبت بها المؤلفات القيمة، غزيرة المادة، شديدة الأصالة، وكان علي أي باحث يريد أن يلم بثقافة العصر أن يتعلم اللغة العربية، وقد فعل ذلك كثيرون من غير العرب (البهواشي، د.ت،ص ٤٤٥)"

وتنطلق مواجهة الأخطار الناتجة عن تحديات العولمة والمهددة للهوية الثقافية والحضارية من الواقع، وبأدوات العصر، وبالوسائل التي تتيح للغيورين على اللغة والقائمين على تطويرها والمهتمين المسؤولين عن حمايتها والحفاظ على خصوصياتها، أن يستوعبوا المتغيرات في مجالات العلوم والتقانة والمعلوميات وشتى حقول المعرفة، ليواصلوا تطوير اللغة وتحديثها لمسايرة العصر ولمواجهة العولمة. فاللُّغة هي أهمّ الروابط المعنوية التي تربط الفرد بغيره، لأنّها واسطة التفاهم بين الناس، وآلة التفكير عند الفرد، وواسطة نقل الأفكار والمكتسبات من الآباء إلى الأبناء، ومن الأسلاف إلى الأخلاف. وإذا كانت الأمة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت شعورها وأصبحت في حالة سبات، تستطيع أن تستعيد وعيها بالعودة إلى تاريخها، فإن الأمة إذا فقدت لغتها تكون عندئذ قد فقدت الحياة ولا مستقبل لأمة فرطت في لغتها، وليس في المستطاع مواجهة تحديات العولمة بلغة لا تتوافر لها شروط المواجه. وهنا لا يسعنا سوى القول إن اللغة هي الحاضنة الفكرية وهي العامل الأهم في تجسيد خصائص الأمة والحافظة لتاريخها والداعمة لاستمراريتها مما يتطلب من جميع الأمم العمل على صونها وحمايتها من كل التحديات التي تحيق بها لأن في ذلك صونا للأمة ولهويتها ولمكانتها وأخص هنا أمتنا العربية التي خصها الله بقرآن عربي فقد تعهَّد الله بأن تبقى اللغة العربية ما بقيت الحياة، لأنَّها أيضًا لغة القرآن الكريم وكان له سطوته التي جابهت كل العواصف والتحديات التي وقفت في وجه لغتنا العربية ووضعتها على حافة الانزلاق والانهيار هذه اللغة التي وهبت العالم العلوم والفضائل والرسائل ذات المنحى الإنساني وأثبتت على مر العصور أنها لغة

حية قابلة للتجدد والتطور والتأقلم والأخذ بكل مستجدات العلوم التطبيقية والفنية والأدبية وما يتطلبه الواقع والحداثة من ترجمات عملية فيها من الغنى والعبقرية ما يجعلها من أهم اللغات الحية الموجودة في العالم لغة أثبتت شخصيتها المتميزة وارتباطها الإنساني هي لغة يحق لنا أبناء يعرب أن نعتز ونتفاخر بها ونحميها وندافع عنها كل ذلك إذا ما ترجمنا أقوالنا بأفعال ومن خلال اجتهادنا في دراستها دراسة دقيقة وفاحصة تجعلنا نستكشف كنوزها ونستخرج لآلئها وصدفاتها ولو كلفنا ذلك الغوص في عمق بحرها الذي لا يهدأ أبداً .

المراجع باللغة العربية

ابن جني. *الخصائص*، تحقيق محمد علي النجار، ط٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ .

ابن خلدون، عبدالرحمن. المقدّمة: الفصل٢٨ في لغات أهل الأمصار،(د-ت).

ابن منظور. *لسان العرب*، بيرزت، دار صادر(د-ت).

ابن هشام. *السيرة النبوية*، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ.

بدوي، عبد الرحمن. *موسوعة الفلسفة*، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٩٦.

البهواشي، السيد عبد العزيز. *دور التربية الإسلامية في تنمية الشخصية القومية المصـرية لمواجهة مخاطر النظام العالمي الجديد* (د.ت)،(د.م).

تيزيني، طيب. *مفهوم التراث العالمي. مدخل باتجاه التأسيس، مجلة عالم الفكر ،العدد (٤)*..أفريل، جوان ٢٠٠٨.

الجابري، محمد عابد." *العولمة والهوية الثقافية*"، مركز دراسات الوحدة العربية، المستقبل العربي العدد(٢)، ١٩٩٨.

الجرجاني، الشريف. *التعريفات*، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

الحصري، ساطع. *ثلاثون عاماً على الرحيل*، القاهرة، مركز دراسات الوحدة العربية، ومعهد البحوث والدراسات العربية (د.ت).

الحصري، ساطع . *أبحاث مختارة في القومية العربية*، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥ .

الحفيان، فيصل. " *اللغة والهوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات*" مجلة التسامح، العدد(٥)، (د.ت).

حنفي، حسن. *الثقافة العربية*، ط١، عمان، منشورات جامعة فيلادلفيا، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون جامعة فيلادلفيا بعنوان العولمة والهوية، ١٩٩٩.

الزمخشري، أبو قاسم محمود. *أساس البلاغة*، القاهرة، دار الكتب المصرية (د،ت).

صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، ج ٢، بيروت دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢.

الظاهري، ابن جزم . الفصل في الملل والنحل . القاهرة، مكتبة الخانجي (د.ت).

العاني مسيهر، نوري خليل. *الهوية الإسلامية* في زمن العولمة الثقافية، العراق، مركز البحوث والدراسات الإسلامية،٢٠٠٩.

العقاد، عباس محمود. دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، د. ت.

علوان، محمد السيد. *المجتمع وقضايا اللغة*، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥.

علي، نبيل. *"استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعريف بالهوية العربية وإثرائها والتحدي الإسرائيلي المعلوماتي"*، *المجلة العربية للتربية*، عدد (٤٦)، تونس، ٢٠٠٥.

غليون، برهان . *"عولمة الثقافة و ثقافة العولمة"*، *مجلة المركز العربي الثقافي*، ١٩٩٨.

كويشيرو، ماتسورا. رسالة المدير العام لليونسكو بمناسبة الاحتفال بالسنة الدولية للغات ٢٠٠٨متاح على موقع اليونسكو التالي http://www.un.org/arabic/events/iyl

الماحي، عبد الرحمن عمر. *العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم*، *المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية*، في الفترة ٢٧-٣٠ مارس ٢٠٠٧.

المسدي، عبد السلام. *"الخطاب العربي وكونية الثقافة"*، *مجلة سطور*، القاهرة: دار سطور، فبراير ١٩٩٩.

المراجع باللغة الأجنبية

Antony Easthope: Constructing Identity(Culture and Discourse). Université du Centre- Faculté des Lettres et des Sciences Humaines des Sousse. English Studies Series, Volume I. L`Or du Temps, 1998.

Language and Identity

Karima Mohamad Karbiya

Department, Faculty of Education of Dulom, Arabic

Salman Ban Abdelazeez University

(Received 14/2/1435H; Accepted for publication 17/5/1435H)

Keywords: language- identity – civilization- crisis

Abstract: This research seeks to highlight the role of the language in defining and rebounding identity and civilization. Therefore, we have worked, firstly, on defining language and secondly on defining identity. Then, we referred to the controversy in the relations between language and identity from a historical, religious, cultural, geographical and sociological point of view. We have realized that language is the main component of the cultural identity; it is the nation's life: it is beginning and ending. Moreover, language is one of the substantial features of the individuals and groups identities as well as an essential element in their peaceful coexistence. In addition to that, language is a strategic factor in the advancement towards the substantial development. This research has brought us to the fact that language is an identity but "identity" is not a language, in the sense that language is not the only feature of identity although it is the most important as well as the richest and the deepest one. Identity is more general than language because it has many manifestations rather than language. We have ended our research by recognizing that the crisis of the contemporary language lies in the crisis of the cultural identity and that language is the basic factor in featuring the nation's characteristics as well as safeguarding its history and supporting its continuity. Therefore, all nations are required to protect and safeguard language from all the surrounding challenges. By doing so, they contribute to the sustention of the nation's identity and status and, especially, our Arabic nation which was specified by an Arabic Coran. In fact, God has promised that the Arabic language will survive as long as life on Earth exists.